السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ — تصدير

زارنى ولدى بالروح كوركيس حنّا عوّاد فى ١٥/٣/١٩٤٢ وقال لى: « يا أبتِ بينما أنا أتصفّح المجلد الـ ٨٧ من المقتطف (ديسمبر ١٩٣٥) ص ٦٣٠ وقع نظرى على هذه العبارة وهى: « وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه المخازن [مخازن الطعام] باسم سيلو Silo ، وأصل هذه الكلمة بحسب أقوال الغربيين ، ويظهر أنها استعملت أولاً فى أسبانيا والمغرب الأقصى . فجدّا لو عُنى أحد اللغويين بالبحث عن أصل اشتقاقها . وقد اصطلح على تسميتها فى القطر المصرى بالصوامع ، لأن الفلاح اعتاد أن يطلق اسم صومعة على المخزن المبنى بالطين الذى يحفظ فيه غلاله ، وكان الكاتب جلال حسين أول من أطلق عليها هذا الإسم فى مقالات له نشرت فى المقتطم » انتهى.

ثم زاد ولدى على ما تقدم نقله ما هذا إيراده: « ثم تصفحت ما جاء من أجزاء المقتطف فى مجلداته التالية إلى هذا اليوم فلم أجد من تعرض لهذا البحث ولم أوفق فى عثورى على معرفة الأصل العربى ، فهل لك أن تذكر لنا اللفظة المأخوذة منها الكلمة الغربية ؟ » .

فقلت له: إنى قد بحثت عنها فى معجمى الكبير (المساعد[1]) ولكن البحث عنها فى هذا البحر الفِطَم يحتاج إلى وقتٍ ، فتى ما سنحت لى الفرصة أُحقق الأمنيّة ، وأنقل ما قيدته فى دفاترى . واليوم قد ظفرت بهذا الموضوع ، فأتى به وأطلع الأدباء عليه بنشره فى هذه المجلة .

٢ — أقسام مخازن الطعام

تقسم مخازن الطعام إلى قسمين كبيرين : قسم يتخذ فوق الأرض وقسم يتخذ فى السراديب أى تحت الأرض . وليس للغربيين إلا اسم واحد لهذين القسمين وهو (سيلو Silo) . أما العرب ، فقد سموا باسمين مختلفين هذين المخزنين : فالذى يبنونه أو يتخذونه فوق الأرض يسمونه السيرة أو السِّير ، وهو الذى نقل إلى (سيلو الغربية كما سترى) وقسم تحت الأرض وهو المسمى عندهم مطمورة .

٣ — السيرة والسير

قال صاحب كتاب الزردقة[1] فى ص١٤٣ ــ ١٣ وما يليه:

(١) سمع كثيرون بمعجمى هذا الواسع لبضعة ألفاظاً لا تحصى مستدركة على أصحاب المعاجم العربية الكبرى ، والتى لا ترى فى القاموس ولا فى الأوقيانوسى ولا لسان العرب ولا تاج العروس ولا أى معجم كان من تأليف الأقدمين والمحدثين من الناطقين بالضاد وأبناء سائر البلاد . لأنه وعب كلاً من عهد الجاهلية وصدر الاسلام وعهد العباسيين ومصطلحات العلوم والفنون والصنائع ، فقد تجىء أسئلة عن ألفاظ غريبة من ديار النيل وربوع الشام وأرجاء فلسطين ، ومن شمال أفريقية وأصقاع أميركة المختلفة بل من أقطار استرالية والهند الهولندية فأبث إليهم بما يشفى علتهم ويروى غلتهم ، ويزيل كل شبهة عنهم. وأكثر ما أدرجه فى الصحف والمجلات من عهد بعيد مقتبس من معجمى هذا « المساعد » ، ولا يمكننى أن أتولى طبعه لعظمه وسعته

(١) الزردقة لا ترى فى معاجمنا العربية القديمة ولا الحديثة مع أنها من عصر العباسيين النير الراقى . ولما كان أغلب الناس يجهلون الكلمة ومعناها وأصلها صحفوها منذ أقدم الأزمنة بصور شتى نعرف منها الزردقة (بتقديم الزاى على الراء) . والزرطقة (بزاى فراء فطاء فقاف موحدة فهاء) . والزرطقة (كالسابقة لكن بجعل القاف قافاً) . قال صاحب المذكرة : الزردقة : هى ضم علم الحيوان إلى علم الفلاحة . وقال أيضاً : رأى النبطى وقسطوس وابن العوام وكثير من الروم : ضم الحيوان إلى كتب الفلاحة . وسموا المجموع (زردقة) حتى اشتغل الأدم والتطريف وسومارس وأرجانس بافراده انتهى نقله بحروفه

وفى كشف الظنون المطبوع فى الآستانة فى سنة ١٣١١ فى كلامه على (كامل الصناعتين) :

« والزرطقة هى عبارة عن تربية الخيل فى تعليمها ولوازمها » اهـ .

وفى النسخة المطبوعة فى ديار الأفرنج باللغتين العربية واللاتينية : « الزرطقة [أى بالزاى والراء والطاء والقاف والهاء] ولا جرم أنها تصحيف الزرطقة [بتقديم الراء على الزاى يليها طاء فقاف فهاء] إذ الكلمة لاتينية الوضع ووردت مصحفة تصحيفات أخر كما أشرنا إليها قبل هذا ، ومنها أيضاً : زردقة وزرتقة ورزدقة ورشتقة ورشتقة إلى غيرها

فاجتزأنا بذكر ما وقع عليه بصرنا ، وكلها لم تذكر فى معجم ، وكأن المستشرقين لم يعثروا على واحدة منها ، مع أن جمهوراً منهم عثروا على كشف الظنون وطالعوه من أوله إلى آخره واستفهدوا بأقواله فى مواطن لا تحصى

وفى خزانة ديرنا البغدادى كتاب خطى ظفرنا به فى سنة ١٩٤٠ م فاقتنيناه وعنوانه « كتاب البيطرة » وقد نسخ فى سنة ١٣١٦ للهجرة . وفى آخره كتاب آخر اسمه « مختصر كتاب الزردقة » [كذا] .

وفى هذا السفر الجليل نسخة فى خزانة دار الآثار القديمة ببغداد رقمها فيها ١٣٤ ؛ لكن ليس فيها كتاب الزردقة ، وقد اقتنيناها الحادى فى السنة التى اقتنينا فيها نسختنا ، أى ١٩٤٠ م

اعلم أن (السيرة) بالكسر و (السَّير) بالفتح ، أن يكدّس الطعام أو الميرة أكداساً وصُبَرا ، ثم يجمع بينها وتصوع ، ثم تُسَيَّغ فتصمد دفعاً لعادية الأمطار والثلوج عنها وحفظاً لها من كل ضرر ، فإن وضع هذا الطعام أو هذه الميرة فى حفرة فهى المطمورة » انتهى بنصابه

وقد تقدّمنا عن السيرة والسير فى كتب متون اللغة ، وهى عندنا كثيرة لا يرى أمثالها عند كثيرين من أصحاب خزائن كتب أبناء يعرب ولا فى دور أبناء الغرب فلم نظفر بما يفيدنا هذه الفائدة المطلوبة هنا ؛ لكن لها وجه وجيه فى اللغة ، فقد جاء فى كتبنا عن أحد معانيها : السيرة : الميرة[1] . فيكون مجيئها بمعنى مخزن السيرة من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه ، ومنه الآية : واسأل القرية . ومعناه : أهل القرية . وفى الحديث : « وإن مجلس بنى عوف ينظرون إليه أى أهل المجلس على حذف المضاف . وفى الأساس : رأيتهم مجلساً أى جالسين . وعندنا من الشواهد ما يقع فى جزء من أجزاء هذه المجلة لكثرتها وسماعها عن الأئمة الأعلام الأثبات الذين لا يشك فى فصاحتهم ولا فى بلاغتهم ، ولا فى عروبتهم المحضة

(١) ووجوه السيرة بمعنى الميرة ذكرة جميع أرباب المعاجم وهو من غريب المعانى . وسبب هذه الغرابة أن ليس للسيرة جميع المشتقات ومعانيها العائمة إلى مادة الميرة ومشتقاتها . فعندنا فى هذه المادة مار فلان عياله يميرهم ميرا جاءهم بطعام ؛ وأمار عياله وامتار لهم للماثر اسم فاعل ، والمير مصدر والطعام ، والميرة بالكسر الطعام ، يمتاره الانسان . والميار : جالب الميرة إلى نظائر هذه الاشتقاقات وكلها فى مادة (م ى ر) التى يبحث عنها ابن فارس فى معجمه البديع « مقاييس اللغة » فقال فيها ما نقله : مير الميم والياء والراء أصل صحيح هو المير ومرت ميراً والميرة الطعام ينقل من بلدة إلى بلدة أخرى . وقالوا ما عنده خير ولا مير والمادة تدل على التغذية والطعام انتهى .

فلا جرم أن السيرة بمعنى الميرة لغة من لغاتهم التى تجعل ميم بعض الألفاظ سينا كما قالوا : السقاط واللقاط وهم سقلة الناس . والضرس كالضرم كشف وهو من يغضب من الجوع . وموج متلاطس ومتلاطم . والسخل والمخل والسرطراط كالمرطراط ، واستنع لونه وامتنع إلى ما لا يحصى ذكره

فلله در ابن فارس كيف توصل إلى حل معنى (م ى ر) وحل كل مادة من مواد اللغة الضادية مع وفرتها الجمة وكشف ما فيها من دقائق للمعنى . فقد اتفق تحليله لمادة (م ى ر) مع ماجاء من جنسها فى الفرنسية إذ جعلت (ميتا) المرية (تونا) فى لغتهم وقالوا Nourrir ومعناها : أطعم وغذى وأعاش وأعال . وبالانكليزية to nourish فادة تغذيها (م و ر) كما لا تخفى على أحد

وأما مادة (س ى ر) فليس فيها إلا (السيرة) بمعنى الميرة وليس فيها مشتقات من أفعال وأسماء تفيد معنى السيرة أو الطعام أو التغذى بعيد ولا من قريب

وأما (السَّير) بمعنى السيرة والميرة التى وردت فى (الزردقة) فلم نجدها فى كتاب لغة ؛ لكنا وجدنا فى اللسان والتاج وغيرهما (المَّير) بالفتح بهذا المعنى عينه . وقد رأينا أن (السيرة) بمعنى (الميرة) وردت فى كلام الأقدمين ودواوين اللغة ، فتكون (السَّير) للمَّير من هذا القبيل أى لغة فيها . فتكون (السيلو) من (السير) عن طريق اليونانية ، فقد حكى اللغوى العظيم بوازاق فى معجمه أصول الألفاظ اليونانية ، أن الأغارقة يقولون للسيلو (مخزن الطعام فى ص ٨٦٦ من تصنيفه البديع Siros [بكسر السين] قابلها بـ Seiros [بفتح السين] بمعناها فلم يبق شك فى أنهما مثل (سِيرة) و (سَّير) بكسر السين فى الأول وبفتحها فى الثانى والمعنى واحد ، ثم نقلها عنهم أهل الغرب جميعاً فقال اللاتينيون Sirus ونقلها عنهم باللام والإنكليز والفرنسيون والإسبانيون فقالو سيلو أى Silo (باللام)

ولماذا جعلوا اللام فى مكان الراء فلأحد سببين : إما لمقاربة مخرج الراء من اللام فأبدلوا إحداها بالأخرى ، وإما لأنهم سمعوها من بعض العرب من قديم الزمان باللام . فالذين نطقوا بها منذ القديم بالراء جاوروا عرباً يلفظون راءها على أصلها . والذين نطقوا بها باللام كالفرنسيين والإسبانيين والإنكليز جاوروا عرباً يجعلون الراء لاماً . وهذا ما ورد نظائره فى كلام السلف الصالح القديم فقالوا : هدر الحمام هديراً وهدل هديلاً ، واعرنكس الشعر واعلنكس أى تراكم وكثر أصله . والمرجوم والملجوم ، وأربّ فى المكان إرباباً وألب فيه إلباباً : إذا قام به . والشواهد لا تحصى لكثرتها .

الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٧ يناير سنة ٩٤٢ فى القضية رقم ١١٥ سنة ١٩٤٢ ضد صابحة حليل العجيى أرملة بالمشتريات بتغريمها ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لعرضها للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤١ فى القضية رقم ٢٤٢ سنة ١٩٤١ ضد عبد الحميد على الجمال بياع بجزية راشد تبع دسوقى مركز دمنهور بتغريمه ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفه لبيعه كبريتاً وغازا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم فى القضية المستأنفة رقم ٤٨١٢ سنة ١٩٤١ بتاريخ ٣ مايو سنة ٩٤١ ضد عبد العزيز عبد السميع بحى سكنه الرويعى بتغريمه جنيه ليبه مسامير بسعر أزيد من التسعيرة